

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[125] يختلط الأمر عليه ويهجر - والعياذ بالله - فهو يحسب مناماته المضطربة وحياءاً! ويقولون حيناً: لماذا أنت بشر؟ ويتذرعون أحياناً بطلب معجزة جديدة مع كل تلك المعاجز. إذا لم يكن لدينا دليل على بطلان كلامهم إلا هذا الإضطراب والتمزق، فإنّه كاف لوحده، ولكننا سنرى في الآيات التالية أنّ القرآن سيحيبهم جواباً حاسماً من طرق أخرى أيضاً. * * * ملاحظة: هل القرآن محدث؟ لقد أورد جمع من المفسرين في ذيل الآيات - لوجود كلمة (محدث) في الآية الثمانية من الآيات محلّ البحث - بحثاً جمّة حول كون كلام القرآن حادثاً أم قديماً؟ وهي نفس المسألة التي اُثيرت في زمن خلفاء بني العباس وصارت مثاراً للجدل لسنين طويلة، وكانت قد لفتت إنتباه وأفكار جماعة من العلماء. إلا أنّنا نعلم اليوم جيداً أنّ معظم هذا الموضوع كان يراد منه الإشغال السياسي ليهتمّ به علماء الإسلام، وينصرفوا عن المسائل الضرورية والأساسية التي تتعلّق بشؤون الحكومة وكيفية حياة الناس، وحقائق الإسلام الأصيلة. واليوم اتّضح لنا تماماً أنّ المراد من كلام القرآن محتواه ومضمونه، وهو قديم قطعاً، أي إنّّه كان دائماً في علم القرآن، وإنّ علم القرآن الواسع كان محيطاً بالقرآن على الدوام. وإذا كان المراد منه هذه الألفاظ والكلمات، وهذا الوحي الذي نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا شكّ في أنّّه حادث. أي عاقل يقول: إنّ ألفاظ القرآن وكلماته أزليّة؟ أو أنّ نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من بداية أمر الرسالة؟ وبناءً على هذا فإنّتم تلاحظون بأنّ